تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الحادية عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد؛ يطيب لي الترحيب بكم في المحاضرة الحادية عشرة ضمن مقرر تاريخ التفسير، الذي يقدَم ضمن برنامج السعدي، المستوى الأول.

✔ الإسرائيليات في التفسير

في المحاضرة الماضية تكلمنا عن مسألة ضوابط منهجية في التعامل مع مرويات السلف في التفسير، واليوم بإذن الله عز وجل سنتكلم أيضًا عن قضية أخرى مهمة، أخذت بعدًا كبيرًا في عصرنا الحاضر، وهي مسألة **الإسرائيليات في التفسير**، والحامل لنا للحديث عنها؛ أولًا: أنها تتعلق بتاريخ علم التفسير، فنحن نريد أن نعرف متى ظهرت هذه الإسرائيليات في علم التفسير؟ كيف تعامل المفسرون معها من السلف، ومن جاء بعدهم؟ وما الموقف منها؟ وبَحْثُنا لها، مع أنه بحث لجانب تاريخي يتعلق بذات المقرر، إلا أنه أيضًا يلقي إضاءةً على مسألةٍ يكثر الحديث عنها في عصرنا الحاضر، وأخذت زخمًا كبيرًا. لا أريد التوسع الحقيقة كثيرًا في الكلام عن هذه المسألة، وإنما سأحاول جهدي اختصار الكلام عن هذه المسألة في عدد من النقاط والفقرات.

المقصود بالإسرائيليات

حينما نقول الإسرائيليات، ماذا نقصد بكلمة الإسرائيليات؟ المقصود بهذه الكلمة: هو كل ما رواه بنو إسرائيل، أو كل ما رُوي عن بني إسرائيل، أو كل ما أُخذ عن بني إسرائيل من كتبهم أو من علمائهم. وحينما نقول بني إسرائيل المقصود: بنو يعقوب عليه السلام ، وكلمة إسرائيل تعني في اللغة العبرية: عبدالله، أو صفوة الله، والمقصود به هو نبي الله يعقوب عليه السلام، يقول عز وجل: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [آل عمران: 93] يعني يعقوب عليه السلام، فكل ما كان عن بني إسرائيل سواءً من كتبهم، أو من علمائهم، داخلٌ في مسمى الإسرائيليات، وسواءً هم الذين نقلوه لنا، أو أن أحدًا من العلماء رجع إلى كتبهم، أو سألهم، وهذا كله داخلٌ في معنى قوله عليه الصلاة والسلام: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج".

لكن هناك توسعٌ في هذا الإطلاق، فدخل في معنى الإسرائيليات كل ما كان من غرائب التفسير، وعجائب الأخبار، مما لم يثبت نسبته إلى بني إسرائيل، وإنما هي غرائب الروايات وعجائب الأقاويل، وبدع القصص والأخبار، فأدخلها بعض الباحثين ضمن الإسرائيليات، وأطلق عليها هذا الاسم من باب التغليب، لأن غالب أخبار بني إسرائيل فيها غرائب، ولا تخلو من غرائب وعجائب، فأُلحق بها كل ما كان فيه معنى الغرائب والعجائب، وإن لم يثبت أنه عن

بني إسرائيل، نعم الحقيقة هذا التوسع في الإدخال يحتاج إلى تأمل، لأننا نعلم أن الأصل في أخبار بني إسرائيل أن لها حكم خاص سيأتي، والأصل فيها قول النبي صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، أما الدخيل في علم التفسير فلا يأخذ هذا الحكم، يعني الدخيل في الروايات عمومًا، والأخبار عمومًا، لا تدخل ضمن هذا المعنى، ولا تُلحق به، ولا تجري عليه أحكام أخبار بني إسرائيل، تلك أخبارٌ أخرى، تطبق عليها قواعدٌ أخرى، لكن بني إسرائيل لها ميزةٌ خاصة، وردت فيها أحاديثٌ خاصة، فكان التفريق بين ما هو من أخبار بني إسرائيل، وما ينسب إليهم، وإن لم يقولوه، أو يؤخذ عنهم، هذا كان من الأفضل. على كل حال، هذا مفترضٌ أن يؤخذ - إن شاء الله تفصيلًا - في مادة أصول التفسير.

لماذا ظهرت الإسرائيليات في كتب التفسير

هذه الأخبار عن بني إسرائيل لماذا ظهرت عند المسلمين؟ لماذا ظهرت في كتب التفسير؟ حتى نجيب عن هذا السؤال؛ يجب أن نفهم منهج القرآن الكريم في عرض الحوادث والوقائع. يقوم منهج القرآن الكريم في عرض الحوادث، والوقائع، والأخبار، والقصص، على الاقتصار على موطن العبرة، أو ما يساعد على معرفة موطن العبرة، أما ما ليس له أثر في موطن العبرة، ولا يساعد على الوقوف على موطن العبرة، فالقرآن لا يعرض له؛ لأن القرآن ليس كتاب تاريخ، ولا كتاب قصص، حتى يذكر تفاصيل كل الحوادث، ولهذا نجد كثيرا في القرآن عدم تسمية الأماكن، ولا تحديد التواريخ، ولا تسمية الأشخاص والأعيان، يقول الله عز وجل: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 13]، أين مكان هذه القرية؟ أي زمان؟ ما اسمها؟ ما اسم المرسلين؟ ما اسم الرجل الذي نصح قومه؟ ما يُذكر؛ لأن هذه التفصيلات لا أثر لها في حصول العبرة والمعنى المقصود من القصة، ولذلك لا يذكرها ويتركها القرآن الكريم.

فاقتصار القرآن الكريم على مواطن العبرة وعدم الدخول في التفصيلات، يقابله أن النفس البشرية بطبعها تتشوق لتفاصيل الحوادث، والوقائع، وتتشوف للأخبار، وتحب أن تعرف المزيد عنها، وقد سمعوا في كلام الله عز وجل الحديث عن الأمم السابقة، قوم نوح، عاد، وهود، ولوط، وشعيب، وفرعون، وأصحاب الفيل، وغيرها من القصص السابقة، والأمم الماضية، فأرادوا أن يعرفوا مزيدًا عن هذه القصص والوقائع، فطبيعة النفس تتشوف لذلك، واليهود كانوا بين المسلمين ويعيشون مع الصحابة في المدينة ومع المسلمين عمومًا، حيث كانوا أهل الذمة، وبينهم وبين المسلمين عقد ذمة، وهم أهل الكتاب قبلنا، أسفارهم وكتبهم كانت مليئةً جدًا بالحوادث والوقائع التي ذكر الله عز وجل طرفا منها، أضف إلى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أذن لنا في التحديث والرواية عن بني إسرائيل فقال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، كما أخرجه البخاري وغيره، وقال عليه الصلاة والسلام: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم". فإذًا ما في القرآن من إجمالٍ، مع تشوف النفس لتفاصيل

الأخبار، ووجود اليهود، وهم الأمة السابقة لنا التي عندها الكتاب، مع إذن النبي صلى الله عليه وسلم بالتحديث عنهم، وسماع أخبارهم، هذه العوامل كلها كانت سببًا لظهور أخبار بني إسرائيل في التفسير، وفي تاريخ العلوم الإسلامية.

إلى هذا المعنى يشير **ابن خلدون** في مقدمته، في كلام طويل سأنقله بتمامه لأهميته، يقول عن سبب وجود هذه الإسرائيليات: "والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية. فإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حِمْيَر الذين أخذوا بدين اليهودية. فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم، مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك. وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم. فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم، في أمثال هذه الأغراض، أخباراً موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل. وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملؤوا كتب التفسير بهذه المنقولات. وأصلها كما قلناه عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بَعُد صيتهم وعَظُمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتلقيت بالقبول من يومئذ."

يقول إن هؤلاء كانوا - صحيح - من أهل الكتاب، لكنهم من العرب، والعرب بادية ليسوا أهل كتاب ولا علم، فما يعرفه أهل الكتاب من العرب، الذين كانوا عربًا، مثل ما يعرفه عامة أهل الكتاب، يعني ليس لهم تعمق في العلم بحيث يميزون تلك الروايات الموجودة في كتب أهل الكتاب، ويعرفون الصحيح منها من غيره، مع ما لهم من أقدارٍ عند أهل الإسلام، ومكانةٍ في الدين، فتلقّى الناس أخبارهم و أقاويلهم بالقبول.

لعل أيضًا من الحكمة في الإذن بالتحديث عن بني إسرائيل الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم معنى تأليف قلوبهم على الإسلام، لأن يدل على ما في الإسلام من عدل ونصفة، الرسول صلى الله عليه وسلم ما حارب أهل الكتاب ولا قطع العلاقة بهم، بل حتى أذن بالتحديث عنهم، فهو يشعر أن هذا الدين دين فيه إنصاف.

كذلك من فوائد التواصل مع أهل الكتاب، وسماع أخبارهم، والتعرف على كتبهم: أن نقف على ما فيها من ضلال، وما فيها من انحراف وتبديل، فنُصوّب ذلك، ونُبين لأهل تلك الكتب خطأهم وضلالهم.

موضوع الأخبار الإسرائيلية في كتب التفسير

إذا كانت هذه الإسرائيليات قد ظهرت في كتب التفسير، وتناقل أهل العلم أخبار بني إسرائيل، ففي أي شيء كانت تلك الأخبار والروايات التي تنقل عن بني إسرائيل؟ لا شك أن ما ذكرناه قبل قليلٍ من العوامل التي أدت إلى ظهور أخبار بني إسرائيل، يجيب عن هذا السؤال؛ وهو ما موضوع هذه الأخبار الإسرائيلية؟ ما ذكرناه من عوامل ظهور هذه الأخبار يجيب عن هذا السؤال.

قلنا إن القرآن قد أجمل في قصصه وأخباره، وعند بني إسرائيل تفصيل عنها، إذن غالب الأخبار، **غالب موضوعات بني إسرائيل التي أخذت عنهم تتعلق في غالبها - إن لم يكن جميعها - في مسألة القصص والحوادث**، سواءً الغابرة الماضية، ومايتعلق ببدء الخليقة والأمم السابقة لنا، أو المستقبلة التي ستقع في آخر الزمان، فهي في القصص والأخبار والملاحم وأحاديث آخر الزمان، دون مسائل الأحكام والعقائد، فهي في حقيقتها تفصيل لتلك القصص التي وردت مجملة في القرآن الكريم، دون دخول في العقائد والأحكام. ربما يرد في مضمون القصة شيءٌ له صلةٌ بالعقائد أو شيءٌ له صلةٌ بالأحكام، لكنه لم يكن مقصودًا ابتداءً، وهذا ترى معنى غاية في الأهمية، أحد العلماء من السلف من الصحابة أو التابعين يروي القصة عن بني إسرائيل، يريد معنى القصة الذي يطابق ما جاء في القرآن، دون أن يريد بعض الإشارات العقدية، أو بعض الإشارات التي تترتب عليها الأحكام، وهذا قد نلقي عليه المزيد من الضوء إن شاء الله مستقبلًا.

أيضًا **تَرِد الروايات الإسرائيليات لتتعلق بتعيين المبهمات**، كالإبهام في الزمان، أو الإبهام في المكان، أو الإبهام في الأعيان، أو حتى الإبهام في الألوان، مثل تعيين اسم صاحب القرية الذي أماته الله، مثل تعيين الجزء الذي ضرب به الميت من البقرة، مثل تعيين نوع الشجرة التي أكل منها آدم وزوجه، فأيضًا أخبار بني إسرائيل تتعلق بتعيين المبهمات.

نعم، أقول هذه هي موضوع أخبار بني إسرائيل، ولكن كما ذكرت لكم أنه قد يرد في هذه القصة تعيين لهذا المبهم، أو تفصيل ذلك الخبر، وقد يرد في سياقاتها نكارات وغرائب تخالف العقل أو تخالف الشرع، هي لم تكن مقصودة في ذاتها، لم يكن الراوي لها من السلف قد أراد تلك التفاصيل التي تناقض عقائدنا أو تناقض أحكامنا، إنما أراد السياق العام لها، سياق القصة، على سبيل الاستئناس بها، لا البناء عليها، ولا أخذ التشريع منها، ولكنه لأجل ذلك يتسامح فيها، لأن المقصود بها الاستئناس بذلك الخبر، والتحديث له دون ما قد يقع في القصة من نكارة، أو مخالفةٍ لعقائدنا أو أحكامنا.

هل روى الصحابة عن بني إسرائيل؟

هل الصحابة رضي الله عنهم لهم رواية عن بني إسرائيل؟ الحقيقة، إن ما يتعلق برواية الصحابة عن بني إسرائيل تحتاج إلى دراسة متأنية، نتعرف من خلالها على منهجهم فيها ونجيب من خلالها على عدد من الأسئلة من حيث: ما حجم تحديث الصحابة عن بني إسرائيل؟ ما مقدار ما ثبت منه؟ وفي أي شيء كان هو؟ أهو في الأخبار أم في الأحكام؟ وهل كان فعلًا أخبار بني إسرائيل من مصادرهم في التفسير؟ وهل هو فعلا يعتبر مصدرًا في التفسير؛ بمعنى أنه هل يوجد آيةٌ في القرآن الكريم لا يمكن لنا أن نفهمها إلا بالرواية الإسرائيلية؟ هل الأخبار التي ذكرها الصحابة عن بني إسرائيل أرادوا بها تفسير الآية، أم أنهم ذكروها هكذا على سبيل القصة والرواية دون أن يربطوها بالآية، وإنما جاء الربط بعدهم ممن أخذ عنهم، أو من المفسرين؟ بمعنى هل الصحابي حينما تكلم وذكر ذلك الخبر الإسرائيلي، هل هو ذكره وهو يفسر الآية؟ وربط به الآية؟ أم أن الربط جاء ممن بعدهم من التابعين، أو من غيرهم من المفسرين؟ ثم هل في ما حدَّثوا به عن بني إسرائيل ما يخالف الشرع؟ ما يخالف الكتاب والسنة، وظاهرها، أو يناقض العقل؟ ثم هل حدثوا بها عن بني إسرائيل، تلك الروايات، وهم يعتقدونها على سبيل الاعتقاد، أم على سبيل الاستئناس والاستشهاد بها؟ ثم أخيرا، هل وهم يحدثون عن بني إسرائيل هل هم يقبلون كل ما في تلك الأخبار التي رووها من تفصيل؟ أم أرادوا السياق العام دون تفاصيل تلك الأخبار؟

ونحن نريد أن نجيب عن الأسئلة، أو من يريد الإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن يكون المنهج العلمي هو الحاكم لنا، لا مجرد العواطف، فيجب أن يكون المنهج العلمي هو نصب أعيننا ولا تجرنا العاطفة، وموقف العداء مع اليهود، عليهم غضب الله ولعنته، لا يحملنا الموقف العدائي معهم إلى الشطط في موقفنا من أخبار بني إسرائيل، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله عليه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: 78]، وقاتلهم وقتلهم، وأجلاهم هو وصحابته، ومع ذلك هو الذي هو الذي يقول: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، فيجب ألا تأخذنا العواطف ونحن نتكلم في المنهج العلمي.

في المحاضرة القادمة، إن شاء الله، سنضع بعضًا من الضوابط المنهجية، بعضًا من الإضاءات المتعلقة بطريقة الصحابة - رضي الله عنهم - في رواية الأخبار عن بني إسرائيل. هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **أخت في الله، ومنيرة فهد**
قام بالمراجعة الأولى والتدقيق: **أخت في الله**
قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**
الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الثانية عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد، يطيب لي الترحيب بكم في المحاضرة الثانية عشرة من محاضرات تاريخ التفسير ضمن برنامج السعدي، المستوى الأول بأكاديمية تفسير.

كنا في المحاضرة الماضية تكلمنا عن موضوع من الموضوعات التي يكثر الحديث عنها في عصرنا الحاضر عند الباحثين والمختصين في الدراسات القرآنية، وهو: **الإسرائيليات في التفسير**، والموقف منها، والعمل بها. وقد أشرنا في المحاضرة الماضية إلى رواية الصحابة لأخبار بني إسرائيل، وطرحنا عددًا من الأسئلة من ضمنها: هل الصحابة أخذوا عن بني إسرائيل؟ وهل ما أخذوا يتعلق بالأحكام والعقائد، أم بغيره؟ وهل هم أرادوا بها الاستشهاد أم الاعتقاد؟ وهل هم ذكروها ابتداءً وهم يريدون تفسير كلام الله، أم لا؟ ثم، هل نستطيع أن نفهم كلام الله دون هذه الإسرائيليات؟ أو هل يوجد في كلام الله ما لا يفهم إلا بهذه الرواية الإسرائيلية؟

سنحاول في هذه المحاضرة والمحاضرة التي تليها الإجابة عن بعض هذه التساؤلات، وإلقاء الضوء عليها.

✓ موقف الصحابة من الإسرائيليات

أولاً: أول ما يظهر لنا أن **الصحابة -رضى الله عنهم- تعاملوا مع الروايات الإسرائيلية في حدود الإذن الشرعي من النبي عليه الصلاة والسلام؛ استشهادًا لا اعتقادًا**، فقط من باب الاستشهاد بها والاستئناس بها دون أن يكون ذلك على سبيل الاعتقاد بها، ومما يدل على ذلك ما نجده عند الصحابة من بعض الروايات التي تشدد في الرواية عن بني إسرائيل وتنهى عن ذلك مثل:

- يقول ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه-: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل، فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه تالية (أي بقية تتعلق بالنفس من تاريخها الماضي)، تدعوه إلى دينه كتالية المال."
- ومثل ذلك مروي عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-، وابن عباس مشهور عنه أنه أخذ عن بني إسرائيل والرواية عنهم، فعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كيف تسألون أهلَ الكتابِ عن شيءٍ، وكتابُكم الذي أُنزِلَ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أحدثُ، تقرؤونه محضا (يعني صافيًا) لم يُشَبْ (يعني لم يختلط بشيء)، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدَّلوا كتاب الله وغيروه،

وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلمِ عن مسألتهم؟ لا والله، ما رأينا منهم رجلاً يسألُكم عن الذي أُنزِل عليكم."

فهذه الروايات التي جاءت عن الصحابة في التشديد في الأخذ عن بني إسرائيل والرواية عنهم، مع ما نراه منهم من الأخذ عن بني إسرائيل، نفهم منه أنهم كانوا يأخذون منهم على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الاعتقاد، أو أن ذلك محمول على النهي عن التوسع في الرواية عنهم، أو فيما يتعلق بما يترتب عليه الأحكام، هذه نقطة.

ثانياً: من أشهر مَن أُخذ عنهم الرواية عن بني إسرائيل من الصحابة: عبد الله بن عباس، وعمرو بن العاص، وعائشة، وكذلك أبو هريرة -رضى الله عنهم أجمعين-. هؤلاء من أشهر من أخذ عن بني إسرائيل على تفاوتٍ بينهم، ورواياتهم عن بني إسرائيل مبثوثة في كتب التفسير، لا سيما التي تعتني بالمروي عن السلف في التفسير.

ثالثاً: الصحابة -رضى الله عنهم- وهم يأخذون عن بني إسرائيل، ثبت عنهم التحري والدقة فيما يروونه عن بني إسرائيل، إذ لم يكونوا يكتفون بمجرد الرواية عنهم، بل كانوا يدققون فيما يروونه ويتثبَّتون إن كانت تلك الرواية التي أخذوها عن بني إسرائيل موجودة في كتبهم، أم مجرد رأي لذلك الذي أخذوا عنه. فمثلاً، عن سؤالهم لكعب الأحبار، وهو من أشهر من كان يُؤخذ عنه، يقولون له: "هل تجد في التوراة هذا الشيء؟ هل وجدته في التوراة؟ هل قرأته في التوراة؟"

ومما يدل على وعيهم بما ينقلون عن بني إسرائيل - يعني أنهم لم يكونوا فقط يأخذون عن بني إسرائيل دون وعي ونظر في تلك المرويات - وقد روى البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية رضي الله عنه يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال: "إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب"، وليس المراد بالكذب ههنا الافتراء وإنما المراد به الخطأ في النقل عن أهل الكتاب. انظروا كلام معاوية في تقييمه لكعب الأحبار، وهو من أشهر من كان يؤخذ عنه ومن أصدق من كان يُروى عنه من أخبار بني إسرائيل! وهذا معناه أنهم كانوا يختبرون، ويتأكدون، ويتثبَّتون مما يرونه.

يقول ابن سعد في طبقاته: "قال أبو بكر بن عياش: قلت للأعمش: ما بالهم يتقون تفسير مجاهد؟ قال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب"، (ما لهم يتقون تفسير مجاهد) يعني: يتحاشونه. وفي رواية أخرى "أنهم كانوا يرون أن مجاهدًا كان يحدِّث عن صحيفة جابر". فهذا مجاهد -وهو أكثر السلف روايةً في التفسير له ستة آلاف رواية في التفسير -كما مرَّ معنا- وهذا مقامه ومنزلته فهو تلميذ ابن عباس الأول، ومع هذه المقامة والمنزلة كان هناك نوع من التحاشي في الرواية عنه.، لماذا؟ لأنه كان يسأل أهل الكتاب.

رابعاً: حقيقةً، ظهر لي أن غالب الروايات المروية عن بني إسرائيل، مأخذوة عن مُسْلِمَةِ أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، دون من بقي على ملته، يعني أن الصحابة كانوا في غالب ما يأخذون، يأخذون عن من أسلم من أهل الكتاب، وليس مِن مَن بقي على دينه في الغالب. نعم، قد يتلقونها عن غير المسلمين منهم، مثل: عبد الله بن عمرو بن العاص، والذي نُسب إليه أنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب اليهود فكان يُحَدِّث منهما، فهذا ليس على إطلاقه، وإنما كان يُحَدّث منهما في حدود ما فهمه من الإذن في قوله صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، ولكن الغالب أنهم كانوا يأخذون عن مسلمة أهل الكتاب.

وما الفائدة إذا كانوا يأخذونها عن مسلمة أهل الكتاب، أو غيرهم؟ لا شك أن المسلم منهم له مزية ومكانة ليست لمن بقى على دينه، بل بعضهم قد يكون من الصحابة كعبد الله بن سلام، ويثبت له من العدالة، والمنزلة، والمكانة ما ثبت لسائر الصحابة.

خامساً: الذي يظهر أيضاً أن ما يذكره الصحابة من أخبار بني إسرائيل، يذكرونه على سبيل ذكر تفاصيل الأخبار الواردة بشكلٍ عام، ولا يلزم من ذكرهم لتلك الأخبار قبولهم لما ورد فيها، فقد يذكر القصة بعمومها وهو يريد المعنى العام لها، دون ما فيها من بعض التفاصيل التي قد تكون محل اعتراض، فهو إنما أراد بيان مجمل القصة التي وردت في القرآن، دون بعض التفاصيل الواردة في خبر بني إسرائيل، فلا يلزم من ذكرهم للقصة أو الخبر عن بني إسرائيل الذي يوضح المجمل في القرآن، لا يلزم منه قبولهم، وتصديقهم بكل تفاصيل تلك القصة، وإنما هذه قصة عامة مأخوذة عن بني إسرائيل، توضح هذا الإجمال العام الذي ورد في القرآن الكريم. هذه بعض المعالم المتعلقة بموقف الصحابة –رضى الله عنهم– من أخبار بني إسرائيل.

✓ موقف المفسرين من الإسرائيليات

إذا كان ما سبق هو موقف الصحابة من الاسرائيليات في الرواية، فما هو موقف المفسرين الذين جاءوا بعدهم من الروايات الإسرائيلية؟ المفسرون من الصحابة، والتابعين، ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا، أخذوا عن بني إسرائيل، ورووا عنهم روايات إسرائيلية في تفسير كلام الله. ومن خلال رصد تلك المرويات نجد أنها قليلة؛ بل نستطيع أن نقول أنها كانت نادرة في عصر الصحابة -رضى الله عنهم-، ثم حصل نوع من التوسع في عصر التابعين،ثم الذين توسعوا في ذلك توسعا كبيرا كانوا أتباع التابعين ومن جاء بعدهم من المفسرين.

إذًا، في عصر الصحابة، كانت الرواية عن بني إسرائيل قليلة أو نادرة. وفي عصر التابعين، توسعوا نوعًا ما، ولكن لم يكن توسعًا كبيرًا -أقصد به التابعين- الذين أخذوا عن الصحابة، ثم حصل توسع كبير في أتباع التابعين، ومن جاء بعدهم من المفسرين، يعني في -القرن الرابع الهجري وما بعده-، حصل نوع توسع كبير في الأخذ عن بني إسرائيل.

حينما نقول إن الأخذ عن بني إسرائيل قليل أو نادر، هذا بمقياس ما يُروَى عن المفسر، فإذا جئنا على صحابي مثل ابن عباس -رضي الله عنهما-، كم رُوي عنه في التفسير؟ روي عنه مثلاً ألف رواية في التفسير، أو ألف وخمسمائة مثلاً، كم تشكل هذه الروايات الإسرائيلية منهم؟ إذا كان له ألف رواية مثلاً في التفسير، ولم نجد له إلا عشر روايات إسرائيلية، أو عشرين، أو حتى ثلاثين رواية، أو خمسين رواية، فإن هذه قليلة ونادرة، لأنها لا تشكل إلا خمسة بالمائة مما روي عنه عن بني إسرائيل، فهي تعتبر قليلة ونادرة. كذلك لو أردنا أن نطبق هذا المعيار عند من جاء بعده من التابعين، وأتباع التابعين، كم مقدار ما روي عنه عمومًا في التفسير؟ وكم يشكل ما أخذ عن بني إسرائيل منها؟ وعندئذٍ نستطيع أن نخرج النسبة.

ظهر التوسع عند المفسرين – كما ذكرت لكم – **في القرن الرابع الهجري وما جاء بعده**. فيحيى بن سلَّام، وابن أبي حاتم، والطبري، توسعوا في الرواية عن بني إسرائيل، ومن أكثر من توسع في أخبار بني إسرائيل، **الثعلبي** -المتوفى سنة 427 للهجرة-، في أوائل القرن الخامس الهجري في تفسيره ***الكشف والبيان***، الحقيقة توسع بشكل كبير في مسألة الرواية عن بني إسرائيل.

هذا فيما يتعلق بالمفسرين والأخذ عن بني إسرائيل في عصر الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ومن جاء بعدهم من المفسرين؛ فهم بين مقلٍّ ومستكثر إلى يومنا هذا.

✓ التصنيف العام للمفسرين من حيث موقفهم من الرواية عن بني إسرائيل

إذا أردنا أن نصنف تصنيفًا عامًا للمفسرين، من حيث موقفهم من الرواية عن بني إسرائيل، نذكر تصنيفًا عامًا، فيمكن أن نقول إنهم على أربعة أصناف من المفسرين عمومًا:

1. مَنْ لا يذكر الأخبار عن بني إسرائيل مطلقًا، وهذا يكثر عند المفسرين المعاصرين، ومثله في الكتب المختصرة في التفسير، لا تذكر الأخبار عن بني إسرائيل، وكثير من المفسرين العاصرين، لا يذكرون أقوال بني إسرائيل، هذا قسم.
2. من يكثر من ذكرها، وهم على النقيض تمامًا من القسم الأول الذي لا يذكرها أبدًا؛ من يكثر من ذكرها مثل: الطبري، والثعلبي، والسيوطي في "الدر المنثور".
3. من يذكرها على نحو قليل جدًا، كابن عطية.
4. والقسم الرابع: من يذكرها، ومع ذكره لها ينتقدها، ويبين ما فيها من ضعف، إما من جهة المنقول، أو من جهة المعقول. وأشهر من اعتني بنقد الروايات الإسرائيلية: ابن كثير، والرازي، وإن كان ابن كثير يتميز عن الرازي؛ بأنه محدِّث له عناية بأصول المحدثين في نقد الروايات.

هذا بإجمال موقف المفسرين من الروايات الإسرائيلية، إما أنهم لا يذكرونها أبدًا، أو يكثرون من ذكرها، أو من يذكرها على نحو قليل، أو يكون ذاكرًا لها مع الانتقاد لها، وبيان ما فيها من ضعف، وخلط، وتزييف.

✓ حكم الرواية عن بني إسرائيل

إذا كان هذا موقف المفسرين من الروايات الإسرائيلية، بين من يذكرها، ومن لا يذكرها، بين من ينتقدها، ومن لا ينتقدها، فما **حكم أصلاً الرواية عن بني إسرائيل؟** أقول:

إن التحديث عن بني إسرائيل مطلقًا، مجرد التحديث عنهم، هذا أمر ورد به نص عن النبي -صلى الله عليه وسلم- صريح حيث قال صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج". فمجرد الرواية عن بني إسرائيل، والتحديث عنهم بإطلاق دون ربطه بالتفسير، أو بالحديث، أو من غيره من هذه الأمور، وإنما الإنسان يحدث بخبره عن بني إسرائيل، هذا أمر ورد الإذن فيه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مطلقًا فقال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج". وفي حديث آخر، قال: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار". فلا إشكال في مطلق الرواية عن بني إسرائيل وفق ما نصت عليه الأحاديث الصريحة، غير أنه **لا يُفهم من جواز التحديث عن بني إسرائيل أن نحدِّث عنهم ما نعلم يقينًا كذبهم فيه**؛ نعم، يجوز لي أن أحدث عنهم، لكن إذا علمت يقينا أن هذه الرواية مكذوبة، فلا يجوز التحديث عنهم.

ولهذا، قال ابن حجر في فتح الباري، وهو يعلق على حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: وقال الشافعي: "من المعلوم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يُجيز التحديث بالكذب". فالمعنى: حدثوا عن بني إسرائيل فيما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجيزونه، فلا حرج عليكم في التحديث به عنهم، وهو نظير قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إذا حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم". ولم يَرِد الأذن، ولا المنع من التحديث بما يُقطع بصدقه.
إذًا نُحدِث عن بني إسرائيل إلا ما نعلم يقينًا كذبهم فيه؛ فإن الكذب لا يجوز، والنبي -صلى الله عليه وسلم- لا يمكن أن يجيز لنا أن نحدِّث عن شيء نعلم كذبه.

إذًا، مجرد التحديث عن بني إسرائيل عمومًا، دون أن يكون مربوطًا بالكتاب والسنة، دون أن يكون مربوطًا بتفسير القرآن، أو شرح السنة، هذا لا حرج فيه، كما ورد به الإذن؛ إلا إذا علمنا أنه كذب، لكن محل نظرنا، ومحل الاختلاف الذي وقع بين الناس هو: هل يجوز لنا أن نحدث عن بني إسرائيل في مقام تفسير كلام الله -عز وجل- وبيانه؟ هل يجوز لنا أن نحدث عن بني إسرائيل، في مقام شرح سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- أو توضيحها، أم لا؟ هذا هو الذي وقع الإشكال فيه عند بعض أهل العلم.

ونُرجِئ الكلام عنه بإذن الله تعالى ومشيئته إلى المحاضرة القادمة، حيث سنتكلم عن حكم الرواية عن بني إسرائيل، والتحديث عنهم في مجال تفسير كلام الله -عز وجل-، ومثله كذلك في شرح سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

إلى ذلك اللقاء، أستودكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات : **مروة الماحي**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**



تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الثالثة عشرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد فيطيب لي الترحيب بكم في المحاضرة الثالثة عشرة من محاضرات تاريخ التفسير والتي تلقى ضمن برنامج السعدي المستوى الأول. أيها الإخوة الكرام، تكلمنا في المحاضرة الماضية عن مسألة مهمة يكثر الحديث عنها في واقعنا الآن وفي الدراسات المعاصرة، وعند المهتمين بالتفسير والعلوم المرتبطة به، وهي مسألة **الإسرائيليات في التفسير**، وأشرنا إلى تعريفها وبعض المسائل المتعلقة بها، وموقف المفسِّرين منها.

✓ حكم الرواية عن بني إسرائيل

أشرنا إلى أن مطلق الرواية عن بني إسرائيل في أصلها جائز، وقد ورد به الإذن عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث قال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، هذا الحديث دال على أنه يجوز التحديث عن بني إسرائيل. إذاً، فلا حرج أن نخبر - نحن أو أحد من أهل العلم - خبراً أو نروي روايةً عن بني إسرائيل، لا حرج في هذا لنص حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفي الحديث الآخر "بلِّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوأ مقعده من النار"، فلا إشكال إذاً في مجرد أن يروي أهل العلم عن بني إسرائيل وأن يحدِّثوا عن أخبارهم فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- أجاز ذلك لنا، بل إنَّه -عليه الصلاة والسلام- قال لنا: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم"، فقد أذن لنا أن نُحدِّث عنهم، ولم يُلزمنا بتصديق أقوالهم ولا بتكذيبها من حيث الأصل، إذاً فإن مطلق التحديث عنهم لا حرج فيه، إنما الذي دار فيه البحث والكلام بين أهل العلم هو أن يُفسَّرَ كلام الله -عز وجل- بتلك الروايات عن بني إسرائيل - يعني أن يُحدَّثَ عنهم في باب تفسير كلام الله -عز وجل- وبيان مراده سبحانه وبحمده، ومراد نبيه -صلى الله عليه وسلم-، هذا الذي وقع فيه الخلاف بين أهل العلم، فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن إباحة الرواية عن بني إسرائيل لا تعني أن يفُسّر كلام الله عز وجل بتلك الروايات المنقولة عنهم، أو أن تُحمل معاني القرآن الكريم أو معاني السنة النبوية على ما تدل عليه تلك الروايات الإسرائيلية.

يقول الشيخ **أحمد شاكر**-رحمه الله- في كتابه ***عمدة التفسير***: "إنّ إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيءٌ، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً وروايةً في معنى الآيات أو في تعيين مالم يُعيَّن فيها أو في تفصيل ما أُجمل فيها شيءٌ آخر، -قال-: لأنّ في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يُوهِمُ أنّ هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبَيِّنٌ لمعنى قول الله سبحانه، ومُفصّلٌ لما أُجمل فيه، -قال-: وحاشا لله ولكتابه من ذلك،

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أذن بالتحدث عنهم، أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم، -ثم قال-: فأيُّ تصديقٍ لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير والبيان." انتهى كلامه -رحمه الله. وهذا الكلام فيه أنه يُفرِّق بين أنه يجوز أن نحدِّثَ مطلقاً عن بني إسرائيل وبين أن نحمل معاني كلام الله تعالى على تلك الروايات ونقرن تلك الروايات بتفسير كلام الله عز وجل.

والحقيقة هذا الكلام وإن كان فيه وجاهة، فإن ظاهر نصوص الكتاب والسنة تدل على جواز التحديث عنهم مطلقاً دون تفريق بين أن يكون هذا مرتبطاً بمعنى كلام الله أو غير مرتبط به، يقول الله عز وجل لنبيه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس:94]، ويقول عز وجل: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة:211]، ويقول عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء:101]، هذه النصوص من القرآن الكريم فيها توجيه النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال أهل الكتاب سؤالاً مطلقاً، لم يُقيَّد بحالٍ دون حال، لم يقل له يجوز لك سؤالهم فيما لا يتعلق بمعنى القرآن الكريم. وأما السنة فقد أشرت قبل قليل إلى عدد من الأحاديث الدالة على جواز التحديث عن بني إسرائيل، "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" ويقول -عليه الصلاة والسلام-: "إذا حدثكم بنو إسرائيل فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم"، فظاهر النصوص دال على جواز التحديث عنهم بلا تفريق.

✓ حقيقة أخذ الصحابة والتابعين عن بني اسرائيل

بقي الحقيقة بعد هذا التقرير أن يُنظر في فعل السلف خصوصاً الصحابة والتابعين، والتابعين لهم من أهل القرون المفضلة هل أخذوا عن بني إسرائيل في مقام بيان كلام الله عز وجل وتفسيره له أم لا.

- كان أخذهم عنهم في مقام الاستشهاد والتفصيل: الذي وجدناه من فعل الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم أنهم أخذو عنهم - وذكروا رواياتهم في تفسير كلام الله عز وجل- ولكن ذلك وقع منهم في مقام الاستشهاد والتفصيل لما أُجمل دون الاعتقاد والتشريع، يعني أخذوا روايات بني إسرائيل في مقام الاستشهاد وتفصيل المجمل لا في بيان العقائد والأحكام الشرعية.
- كان أخذهم قليلا جدا: والصحابة -رضي الله عنهم- والتابعون إذ أخذوا عن بني إسرائيل في هذا المقام في مقام الاستئناس والاستشهاد فإن الذي أخذوه عنهم قليلٌ جداً لا سيما الصحابة، فإن المروي عن الصحابة في باب ما روي عن بني إسرائيل قليل جداً، كيف نقول إنه قليلٌ جداً؟ ذلك إذا قارنت آلاف الروايات المروية عن الصحابة ستجد أنّ نسبة ما يشكله ما أخذوه من روايةٍ إسرائيلية عن بني إسرائيل قليلٌ جداً بل نستطيع أن نقول جازمين إنه نادر.

- قد يكون للصحابة مصادر أخرى أخذوا منها غير بني إسرائيل: مع أننا لا نُسلّم بأن كل ما يقوله الصحابة، لا سيما في القصص والأخبار، أنهم قد أخذوه عن بني إسرائيل، لأنه قد يكون هذا رأيه هو وقوله هو لم يأخذه عن بني إسرائيل، وإنما يكون له في ذلك مصدر آخر غير بني إسرائيل، هذا أمر.
- وأما ما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أو عن بعض الصحابة -رضوان الله عليهم- من النهي عن الأخذ عن بني إسرائيل وإنكار الرواية عنهم، فتوجيه ذلك، كما يقول **العيني** في شرحه: "أنَّ ذلك كان أول الأمر، قبل ظهور العلم واستقرار أحكام الشريعة ورسوخها في القلوب مخافة الفتنة". يعني أن ذلك النهي كان قبل استقرار الشريعة وقبل رسوخها مخافة أن يكون هناك فتنة في التحديث عنهم، "أو أن المنهي عنه ما يتعلق بطلب الهداية من كتبهم"، يعني أن النصوص الواردة في النهي عن الأخذ عن بني إسرائيل سواء ما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أو ما ورد عن الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- لعله محمول على أول الأمر قبل استقرار الشريعة ورسوخ أحكامها، أو أن ذلك النهي يتعلق بطلب الهداية من كتبهم.
- وقال **الطيبي**: "ولا منافاة بين إذنه هنا - يعني بالتحديث عن بني إسرائيل - ونهيه في خبر آخر عن التحديث عنهم، وفي آخر عن النظر في كتبهم - كما وقع مع عمر -رضي الله عنه- وسيأتي ذلك-. لأنه أراد هنا التحديث بقصصهم نحو قتل أنفسهم بتوبتهم، وبالنهي - يعني وبالنهي عن التحديث عنهم - العمل بالأحكام لنسخها بشرعه أو النهي في صدر الإسلام قبل استقرار الأحكام الدينية والقواعد الإسلامية فلما استقرت أَذِنَ لأمن المحذور".
- وهذا قد نقله **المناوي** في ***فيض القدير شرح الجامع الصغير***.
- فعل السلف الدال على جواز التحديث عنهم: وأيضاً بعد الصحابة والتابعين فإن فعل السلف دالٌ أيضاً على جواز التحديث عنهم، فإنا وجدنا أئمة التفسير يتتابعون من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين إلى يومنا هذا وهم ينقلون عن بني إسرائيل.
- والقول بجواز التحديث عنهم - حتى فيما يتعلق بالتفسير - لا يعني القبول المطلق بها، بل إن تلك الروايات تُوقَف عند باب النقد والنظر العلمي لها، فإذا جاءتنا الرواية تناقض شرعنا وتعارضه فإننا نردها، ولا نتردد في ذلك، كذلك إذا جاءت مناقضة للعقل الذي استقر عند الناس، أو مناقضة للسنن الإلهية المستقرة عند الناس، فإننا لا نقبلها.

✓ أقسام الرواية عن بني إسرائيل

ومن أحسن ما ورد في تفصيل ما يتعلق بحكم الرواية عن بني إسرائيل ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: أن الروايات الإسرائيلية تقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. **ما يوافق شرعنا فهو مقبول**، مثل أن موسى رسول بني إسرائيل، هذا ثابت في شرعنا، وهو أيضاً ثابت عندهم، وعلى هذا المعنى يحمل قوله صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"، يعني فيما يوافق شرعنا.
2. **ما يخالف شرعنا، فهو مردودٌ عليهم ولا نقبله**، وعليه يحمل نهي النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- لما أصاب عمر بن الخطاب كتاباً من بعض أهل الكتاب فأتى به النبيَ صلى الله عليه وسلم فأخذ يقرأ منه، فتغيّر وجه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال له: "أمتهوكون فيها يا ابن الخطَّاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاءَ نقية، ولو كان موسى بن عمران حيّاً ما وسعه إلا اتّباعي"، وقال له: "لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبرونكم بحق فتكذبونه، أو بباطلٍ فتصدقونه"، وهذا الأثر وإن كان روي بأساليب متنوعة، لكن لا يخلو أحد منها من مقال، لكن مجموعها يجعله يرتقي إلى رتبة الحسن.
3. **ما لا يوافق شرعنا ولا يخالفه، وذاك المسكوت عنه**، فهذا المسكوت عنه **تجوز روايته**، لأنك لا تعلم صدقه من كذبه فأنت ترويه على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الاعتقاد، تستشهد به على تفصيل قصة وردت في القرآن الكريم، على تعيين مبهم، أو بيان مجمل مما ورد في القرآن الكريم، وهذا معنى قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم".

هذا بإجمال ما يتعلق بحكم الرواية عن بني إسرائيل، وأنها تختلف بنوع المروي عنهم من حيث أنه يوافق شرعنا أو يخالفه أو مسكوتٌ عنه.

✓ **أراء المهتمين والدارسين بالأخذ بالإسرائيليات**

- ردها بإطلاق: قد يرد كثيراً عند بعض المهتمين والدارسين أن الأخذ عن بني إسرائيل يفتح باباً في الروايات المكذوبة، في الروايات المختلقة، في القصص التي تخالف العقل والسنن والفطرة الإلهية، ولأجل ذلك يجب أن نردها.
- قبولها بإطلاق: وآخرون يقولون إن السلف - رحمهم الله - قد رووا عنهم ونحن لا نخالف السلف. الناس بين طرفي نقيض في هذا الأمر، بين من يقبل كل شاذة وفاذة عن بني إسرائيل ولا يميز ولا يمحص، وبين من يردها بإطلاق.
- القول الوسط: نأخذها ضمن ضوابط، والحق والعدل بين هذا وبين هذا وذاك، إذ يجب علينا أن ننطلق من فعل السلف -رحمهم الله ورضي عنهم- من أصحاب القرون المفضلة كيف كانوا في تعاملهم مع تلك الروايات الإسرائيلية، نأخذها ضمن ضوابط.

✓ بعض الضوابط في التعامل مع الروايات الإسرائيلية

لأخينا فضيلة الدكتور **مساعد الطيار** محاولة لاستنباط بعض الضوابط في التعامل مع تلك الروايات الإسرائيلية تجعلنا نقبل تلك الرواية، ويتقوى الأخذ بها عند اجتماع هذه الضوابط، وقد استنبطها كما ذكر من صنيع الإمام الطبري رحمه الله، وهذه الضوابط هي:

1. موافقة كتاب الله عز وجل لها، ومعنى الموافقة، ألا يَرِد في كتاب الله ما يخالفها.
2. ألا يرد في السنة ما يعارضها، أي ألا يرد معارضاً لخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا لم يردنا معارض من خبر النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الرواية الإسرائيلية فهذا أمارة تجعلنا نقبل تلك الرواية.
3. أن توافق لغة العرب، بمعنى أن تأتي أن توافق المعنى الذي يُفهم به نص الآية ولا يتناقض مع أساليب العرب وتركيبهم للكلام ونظمهم.
4. أن يتتابع الصحابة والتابعون على تلك الرواية الإسرائيلية دون اعتراض منهم عليها، هذا التتابع دليلٌ على قبولها في الجملة.
5. أن يكون من الأمور الممكنة غير المستحيلة، يعني أن يكون أمراً ممكناً، أما خوارق العادات ومناقضة السنن الإلهية فذاك يُرد عليهم.

هذه الضوابط الخمسة مهمة في الحقيقة، نجملها فنقول: ألا تعارض الكتاب، ألا تعارض السنة، وألا تعارض لغة العرب، وأن يتتابع الصحابة على قبولها، وأن تكون من الأمور الممكنة. هذه من الضوابط التي نستفيدها في قبولنا لروايات بني إسرائيل.

✓ هل الإسرائيليات من مصادر التفسير؟

وهذا سؤالٌ كبير الحقيقة، وبمعنى آخر، هل نحن بحاجة إلى الإسرائيليات في تفسير كلام الله عز وجل؟ قبل أن نجيب على هذا السؤال المهم لا بد أن نقرر معنى التفسير بالإسرائيليات، وحقيقته، والمقصود، والمقصود به:

- لا يتوقف تفسير كلام الله على الروايات الإسرائيلية: فإذا كان المراد بالتفسير بيان معاني القرآن الكريم والكشف عنها بحيث أن القارئ يفهم مراد الله عز وجل، فنستطيع القول جازمين بأننا لسنا بحاجة إلى الروايات الإسرائيلية في تحقيق هذا المعنى، أعني به أن نفهم كلام الله، وأن نفهم مراده، وأن نعمل به، فكلام الله لا يتوقف على شيء من تلك الروايات الإسرائيلية وأعني بذلك معاني الألفاظ ودلالاتها، ولا يعني هذا أن القصة القرآنية قد تكون استوعبت كل أجزاء الخبر، كلّا.
- الرواية الإسرائيلية قد تذكر تفصيلات غير مهمة لفهم المعنى الأساسي: قد يرد في القصة القرآنية، إغفال بعض أحداث تلك القصة، لكن هذا الإغفال لا يؤثر علينا في فهم معنى القصة، ولا يؤثر في الاستدلال بها، ولا

يؤثر في العمل بمقتضاها. نعم، قد تكون الرواية الإسرائيلية فيها تفصيل لما أُجمل في القرآن الكريم، لكن هذا التفصيل لا يؤثر في فهم حقيقة القصة، ولنضرب على ذلك مثالاً: اسم صاحب القرية مثلاً، أو أصحاب القرية، اسم القرية نفسها، اسم الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف، اسماء أصحاب الكهف، أعدادهم، في أي زمن كانوا، هذه كلها تفاصيل لم ترد في القصة القرآنية قصداً، ونحن نستطيع أن نفهم المعنى العام للقصة، ونستفيد منها، ونعمل بمقتضاها، دون أن نرجع إلى الروايات الإسرائيلية، وفي الوقت ذاته فإن الروايات الإسرائيلية ستفيدنا في هذه التفصيلات في أسماء صاحب القرية، في أسماء أهل القرية، في مكان القرية وزمانها، لكنها تفصيلات غير مؤثرة في فهم المعنى الأساسي للآية الكريمة، فهي تتعلق بتوضيح مجمل أو تعيين مبهم، ولكنها لا تؤثر في فهم أصل المعنى.

- ليس بالضرورة أخذ الصحابة والتابعين من بني إسرائيل: أمرٌ آخر، ولعلي أشرت إليه سابقاً في أثناء الكلام، وهو أن بعض الروايات المروية عن الصحابة والتابعين في تفصيل تلك القصص القرآنية المجملة، ليست بالضرورة أنهم أخذوها عن بني إسرائيل، قد تكون لهم مصادرهم الأخرى التي تلقوها، وتلقوا ذلك الخبر منها أيا يكن ذلك المصدر، فلا يلزم أن تكون تلك الرواية عنهم هي مما أخذوه عن بني إسرائيل، بل هذا القول هو قول الصحابي أو قول التابعي، قوله هو ورأيه هو، قد يكون أصاب فيه، وقد يكون أخطأ، ولكنه هو رأيه وليس بالضرورة أن يكون أخذها عن بني إسرائيل، تصورنا لهذا الكلام كله يجعلنا نجزم يقيناً أن الروايات عن بني إسرائيل عن الصحابة قليلةٌ جداً، بل نادرة.
- تلك الأخبار المروية عن بني إسرائيل أيضاً هي مما لا يُقطع بصدقه ولا بكذبه، وذلك بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم "فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم". وإذا كان هذا الحال أن غالب تلك الروايات الإسرائيلية لا نستطيع الجزم بصدقهم فيها أو كذبهم، فكيف يكون الاعتماد عليها، وكيف يُزعم أنها أحد مصادر التفسير، وتجعل من مصادر تفسير السلف الروايات الإسرائيلية، مع أنها أيضاً نادرة، ثم أيضاً هي لا نستطيع الجزم بصدقهم أو كذبهم فيها، ولهذا يقول الدكتور **حسين المحبي** تعليقاً على هذا المعنى: "فإن قيل بل يمكن الجزم بالمعاني والبيان الذي استقلت الإسرائيليات ببيانه، قلنا هذا مخالفٌ لنص قول النبي صلى الله عليه وسلم الصريح الذي لا يحتمل تأويلاً وهو قوله صلى الله عليه وسلم :"إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم"، -يقول-: والقاعدة المقررة عند أهل العلم، وهي من أصول الاستدلال عند أهل السنة أن ما لا يدرك علمه بالعقل، فلا بد فيه من الخبر الصادق المحض، وهذا المعنى ثابت بأدلة القرآن والسنة القطعية"، - يعني يقول **المحبي** أن ما لا يدرك بالعقل فلا بد فيه من النقل ولا بد أن يكون ذلك النقل صحيحاً، ونحن نعلم أن تعاملنا مع روايات بني إسرائيل يكون كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم "لا تصدقوهم ولا تكذبوهم".

وأخيراً، فالتطبيق الذي وجدناه عند السلف وخصوصاً الصحابة يشهد لهذا المعنى الذي نقرره، فجُل ما روي عن الصحابة، إن لم يكن جميعه، من هذا الباب، أعني به بيان الإجمال وتعيين الإبهام في القصص والأخبار، يسوقها الصحابة على سبيل الاستشهاد والاستئناس، لا على سبيل الاستدلال بها في مسائل العقائد ومسائل الأحكام.

بهذا أيها الإخوة نكون أنهينا الكلام عن هذه المسألة المهمة، وبانتهائنا منها نكون قد انتهينا من الكلام عن المرحلة الأولى من مراحل تاريخ التفسير.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**.

قام بالمراجعة الأولى والتدقيق وضبط الصياغة: **خلدون الأتاسي.**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الرابعة عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد، تكلمنا أيها الأخوة الكرام في اللقاءات السابقة عن المراحل التي مر بها تاريخ علم التفسير ، تكلمنا عن **المرحلة الأولى من مراحل تاريخ التفسير** وهي **مرحلة النشأة والظهور**، وتشمل هذه المرحلة: مرحلة **التفسير في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه** -رضي الله تعالى عنهم أجمعين-، ثم **التفسير في عصر التابعين** -رحمهم الله. وتكلمنا في هذه المرحلة بإسهاب، وذكرنا سماتها ومميزاتها، وبعض المسائل المهمة فيها كالحديث عن الإسرائيليات ودخولها في التفسير، والحديث أيضا عن الضعف في التفسير بالمأثور، ومواقف أهل العلم والدارسين من هذا الضعف في التفسير بين الإفراط والتفريط، وتكلمنا عن بعض النقاط المهمة في هذا الصدد . واليوم إن شاء الله عز وجل سنبدأ الحديث عن **المرحلة الثانية من تاريخ علم التفسير** وهي:

التفسير في عصور التدوين

((أشار **الذهبي** في كتابه ***التفسير والمفسرون***، الجزء الأول، إلى ابتداء هذه المرحلة من مبدأ ظهور التدوين في أواخر عهد بني أمية وأول عهد العباسيين، ثم قسّم التفسير إلى خطوات، هذا ملخصها:

1. **الخطوة الأولى للتفسير**: كان التفسير قبل عصر التدوين يتناقل بطريق الرواية. فالصحابة يروون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يروي بعضهم عن بعض، والتابعون يروون عن الصحابة كما يروي بعضهم عن بعض.
2. **الخطوة الثانية**: بعد عصر الصحابة والتابعين، خطا التفسير خطوة ثانية حيث ابتدأ التدوين لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أبوابه متنوعة، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب التي اشتمل عليها الحديث، فلم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سورة سورة، وآية آية من مبدئه إلى منتهاه، بل وجد من العلماء من طوّف في الأمصار المختلفة ليجمع الحديث، فجمع بجوار ذلك ما روي في الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة أو إلى التابعين، ومن هؤلاء: يزيد بن هارون السلمي (ت 117هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت 160هـ)، ووكيع بن الجراح (ت 197هـ)، وسفيان بن عيينة (ت 198هـ)، وغيرهم، وهؤلاء جميعا كانوا أئمة حديث، فكان جمعهم للتفسير جمعا لباب من أبواب الحديث، ولم يكن جمعا للتفسير على استقلال وانفراد، وجميع ما نقله هؤلاء الأعلام عن أسلافهم من أئمة التفسير نقلوه مسندا إليهم، غير أن هذه التفاسير لم يصل إلينا شيء منها، ولذا لا نستطيع أن نحكم عليها.

3. **الخطوة الثالثة**: بعد ذلك خطا التفسير خطوة ثالثة انفصل بها عن الحديث فأصبح علماً قائماً بنفسه، ووضع التفسير لكل آية من القرآن، ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف. وتم ذلك على أيدي طائفة من العلماء منهم ابن ماجه (ت 273هـ)، وابن جرير الطبري (ت 310هـ)، وأبو بكر بن المنذر النيسابوري (ت 318هـ)، وابن أبي حاتم (ت 327هـ)، وأبو الشيخ بن حبان (ت 369هـ)، والحاكم (ت 405هـ)، وغيرهم من أئمة هذا الشأن. وكل هذه التفاسير مروية بالإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

وإذا كان التفسير قد خطا هذه الخطوة الثالثة التي انفصل بها عن الحديث فليس معنى ذلك أن هذه الخطوة محت ما قبلها وألغت العمل به، بل معناه أن التفسير تدرج في خطواته، فبعد أن كانت الخطوة الأولى للتفسير هي النقل عن طريق التلقي والرواية، كانت الخطوة الثانية له، وهي تدوينه على أنه باب من أبواب الحديث، ثم جاءت بعد ذلك الخطوة الثالثة، وهي تدوينه على استقلال وانفراد، فكل هذه الخطوات ثم إسلام بعضها إلى بعض، بل وظل المحدثون بعد هذه الخطوة الثالثة يسيرون على نمط الخطوة الثانية من رواية المنقول من التفسير في باب خاص من أبواب الحديث مقتصرين في ذلك على ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة أو عن التابعين.

4. **الخطوة الرابعة**: لم يقف التفسير عند هذه الخطوة الثالثة بل خطا بعدها خطوة رابعة، لم يتجاوز بها حدود التفسير بالمأثور، وإن كان قد تجاوز روايته بالإسناد، فصنَّف في التفسير خلق كثير، اختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين من أسلافهم دون أن ينسبوها لقائليها، فدخل الوضع في التفسير والتبس الصحيح بالعليل، وأصبح الناظر في هذه الكتب يظن أن كل ما فيها صحيح، فنقله كثير من المتأخرين في تفاسيرهم، ونقلوا ما جاء في هذه الكتب من إسرائيليات على أنها حقائق ثابتة، وكان هذا هو مبدأ ظهور خطر الوضع والإسرائيليات في التفسير.

5. **الخطوة الخامسة**: ثم خطا التفسير بعد ذلك خطوة خامسة وهي أوسع الخطا وأفسحها، امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا، فبعد أن كان تدوين التفسير مقصورا على رواية ما نقل عن سلف هذه الأمة، تجتوز بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي، وكان ذلك على تدرج ملحوظ في ذلك.))[1]

إذن، هذه المرحلة من تاريخ التفسير، وهي عصور التدوين، تبدأ تقريبا من القرن الثاني الهجري وتمتد حتى نهاية القرن الثالث الهجري، فهي على هذا تشمل أواخر عصر التابعين وأتباع التابعين ، وهذه المرحلة شهدت ظهور التدوين في علوم الشريعة كلها. إذا رجعنا إلى المصادر التي تكلمت عن تاريخ التدوين في علوم الشريعة سنجد أنهم يشيرون إلى أن التدوين في علوم الشريعة قد ظهر في القرن الثاني الهجري، وذلك لأن تناقل علم الشريعة قبل هذه

[1] هذه الفقرة ليست من كلام المحاضر، بل منقولة بتصرف من كتاب "التفسير والمفسرون"، الدكتور محمد حسين الذهبي، ج1، ص 104-108

المرحلة، كما أشرنا سابقاً، كان عن طريق الرواية والمشافهة وكان هذا هو الأصل. نعم، قد يوجد مدونات، ويوجد رسائل مختصرة، كتابات مختصرة لكن السمة الغالبة قبل هذه المرحلة كانت نقل العلم عن طريق الرواية والمشافهة.

أما في هذه المرحلة فقد بدأ التدوين لعلوم الشريعة ومن ضمنها **علم التفسير** الذي حظي بالاهتمام والعناية مبكرا؛ بل يمكن أن نقول أن التدوين في علم التفسير ظهر في آواخر القرن الأول الهجري، فإذا استثنينا بعض المؤلفات التي ظهرت في آواخر القرن الأول الهجري نستطيع أن نقول أن **بداية القرن الثاني الهجري هي البداية الفعلية للتدوين في علوم الشريعة ومن ضمنها علم التفسير.**

ليس من السهل معرفة أول من دوَّن تفسير كل القرآن مرتبا:

لا نستطيع، بل من العسير علينا أن نعيّن بالضبط المفسر الأول الذي فسر القرآن آية آية، ودوَّنه على التتابع وحسب ترتيب المصحف، والسبب في ذلك يرجع إلى أن تاريخ التدوين في علوم الشريعة، ومن ضمنها علم التفسير لم يلق عناية دقيقة تكشف عن مراحله وتفاصيله، لا سيما المراحل المتقدمة الأولى المتعلقة بنشأته وظهوره، وهذا ناتج أصلا من أن طبيعة البحث في تاريخ العلوم بصفة عامة أمرٌ صعب ويحتاج إلى تنقيب ويحتاج إلى جهد ووقت كبير، لهذا انصرفت همة كثير من الباحثين عن هذا الموضوع، مما يجعلنا نقول أنه من المواضيع التي لم يتم التطرق إليها بشكل كبير.

ما الذي يعين الباحث على النظر والبحث في تاريخ علوم الشريعة، ومن ضمنها تاريخ علم التفسير؟ من أهم المصادر التي تعتني بهذا الأمر هي:

- كتب الطبقات والتراجم التي عرَّفَت بالعلماء،
- والكتب التي تعرف بالمدونات في علوم الشريعة مثل كتاب ***كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون***، لحاجي خليفة،
- والنظر في المؤلفات التفسيرية ذاتها أو غيرها، فهذه المؤلفات تحيل إلى المصادر السابقة والمتقدمة عليها،

ومما يجعل البحث في تاريخ تدوين علم التفسير أمراً صعباً، هو صعوبة الوصول لذات المؤلفات التي يذكرها أهل العلم، فقد يذكر أهل العلم أن فلانا ألّف في التفسير، وفلانا ألف في التفسير، لكننا لا نستطيع الوصول إلى تلك المؤلفات، لأن الكثير من تراثنا العلمي ضاع بسبب عوامل متنوعة، ليس هذا وقت الحديث عنها.

كما أن بعض تلك الصحف والمدونات المتقدمة قد تنسب إلى من كتبها، وليس لهذا الكاتب إلا مجرد الرواية فقط في هذا الكتاب، فما هو إلا راوٍ عن من أخذ عنه، وهذا الأمر يقع كثيراً في المدونات المنسوبة إلى التابعين وأتباع التابعين.

لعلنا نوضح ذلك بمثال مثلا : عَزرة ابن عبدالرحمن كتب التفسير عن مجاهد فلا يستقيم أن ينسب التفسير إليه لأن هو في الحقيقة راويه عن مجاهد. ومثل ما ذكره علي ابن المديني عن يحيى ابن سعيد يقول : قال معاذ، قال ورقاء، كتاب التفسير، قرأت نصفه على ابن ابي نجيح وقرأ نصفه علي، وقال ابن أبي نجيح هذا تفسير مجاهد ، فماله في ذلك إلا مجرد الرواية. فمثل هذه المدونات الحق أن تنسب إلى من رويت عنه لا من كتبها لأنه لا يعدو أن يكون مجرد ناسخٍ أو راوٍ.

فهذه العوامل تجعل البحث في أول من ألّف في التفسير، والبحث في تاريخ التدوين في علم التفسير، تجعله صعبا، ويجعلنا لا نستطيع القطع بمتى ظهرت أول مدونة كامله في التفسير، وأعني بمدونة كاملة، بمعنى أنها تجمع تفسير القرآن الكريم سورة سورة وآية أية.

ولكن كل الذي بين أيدينا وكل ما نعلمه من خلال كتب الرواة، ومن خلال كتب الجرح والتعديل، ومن خلال كتب فهرسة المدونات وكتب التفاسير، إنما يثبت أن التدوين لهذا العلم لم يتأخر كثيرا بل بدأ مبكرا. فإذا نظرنا إلى كتب التراجم، وإلى كتب الجرح والتعديل، وإلى كتب الطبقات، وإلى كتب المفسرين المتقدمين سنكتشف من خلالها أن التدوين في علم التفسير لم يتأخر كثيرا؛ بل لم يتأخر إلى القرن الثاني حيث ظهرت إشارات إلى التدوين في علم التفسير في أواخر القرن الأول الهجري، لهذا يرى بعض الباحثين أن التدوين في علم التفسير لم يتأخر إلى القرن الثاني الهجري بل ظهر في أواخر القرن الأول الهجري، فهناك مثلا من يرى أن **مجاهد ابن جبر** هو أول من كتب تفسيرا كاملا للقرآن، ثم تبعه بعد ذلك **سعيد ابن جبير** وهذا في حدود سنة 85 للهجرة، إذن فهو في أواخر القرن الأول الهجري.

وبكل حال يمكن أن يقال أن **أول كتابٍ وصل إلينا كاملا في تفسير القرآن الكريم هو كتاب مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ**، المتوفى سنة 150 للهجرة، والذي طُبع أخيرا بتحقيق الدكتور أحمد فريد في ثلاث مجلدات. هذا الكتاب يمكن أن يقال أنه أول كتاب وصل إلينا في تفسير القرآن كاملا عن مقاتل ابن سليمان.

تشير كتب الطبقات وكتب التراجم إلى أن عددا من الأئمة الكبار المشهورين قد ألفوا في التفسير في وقت مبكر مثل: **سُنيد ابن داود المصيصي** المتوفى سنة 226 هـ ، يقول أبو حاتم الرازي: لسُنيد تفسير كبير رأيته كله بالأسانيد. فهو قد رآه واطلع عليه لكننا لم نجده الآن وبالتالي هو بالنسبة إلينا كتاب مفقود. وأيضاً، **سعيد ابن منصور** المتوفى 227هـ ، كذلك، **محمد بن أبي شيبه** المتوفى سنة 235 هـ، و**اسحاق ابن راهوية** المتوفى سنة 238 هـ ، كذلك **أبو عبد الرحمن، بقي ابن مخلد** المتوفى سنة 276 هـ. كل هؤلاء نسبت إليهم تفاسير للقرآن الكريم لكن الكثير منها لا نستطيع تبينه ومعرفته لأننا لم نجده ولأنه أيضا مفقود.

✓ طرق التدوين في التفسير في هذه المرحلة

الطريقة الأولى: أن يؤلَّف في التفسير استقلالاً فلا يدخل معه غيره:

- كانت غالب التفاسير التي على هذه الطريقة صحفا مروية بالإسناد، مثل تفسير **سعيد ابن جبير**، المتوفى سنة 94 هـ، الذي أشرنا إليه والذي كتبه عنه عَزرة ابن عبد الرحمن. قال ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" في ترجمة عطاء ابن دينار الهذلي، المتوفى 126هـ، قال: "كان عبدالملك ابن مروان (المتوفى سنة 86هـ) سأل سعيد ابن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير، فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير"، إذن، هذا نص واضح يثبت أن سعيد بن جبير كتب تفسيرا للقرآن الكريم في أواخر القرن الأول الهجري.
- كذلك **عطية العوفي**، المتوفى سنة 111هـ ،
- وإسماعيل **بن عبد الرحمن السدي**، المتوفي سنة 127 هـ ،
- **وزيد ابن اسلم**، المتوفى سنة 136 هـ، يقول ابن حجر في "العجاب في بيان الأسباب" : تفسير زيد ابن اسلم من رواية ابنه عبد الرحمن عنه وهي نسخة كبيرة، فهذا يدل على أنه اطلع عليها أو وقف على شيء منها.
- تفسير **علي ابن طلحة**، المتوفى سنة 143 هـ.
- تفسير **مقاتل ابن سليمان**،المتوفى سنة 150 هـ، والذي اشرنا إليه، وهو يعتبر أول كتاب وصل إلينا لتفسير القرآن كاملا مطبوع ومتداول.
- تفسير **وكيع ابن الجراح**، المتوفى سنة 197 هـ.
- تفسير **يحي ابن سلام البصري** المتوفى سنة 200 هـ، تفسير يحيى ابن سلام طبع جزء منه بتحقيق الدكتورة هند شلبي
- كذلك، تفسير **عبد الرزاق الصنعاني**، المتوفى سنة 211هـ .

فكل هذه صحف في التفسير تُروى في غالبها مسندةً عن من نسبت إليه

ما الذي ميز هذا النوع من التفسير؟

يتميز بأنه يعتني ببيان مفردات ألفاظ القرآن الكريم وبيان غريبه، كذلك يعتني ببيان أسباب النزول، ويشير إلى ناسخ القرآن ومنسوخه فيها، كما يهتم بتعيين المبهم من الأسماء أو البلدان أو التواريخ أو حتى الأماكن، كذلك يعتني ببيان قصص القرآن الكريم وبيان أحكامه. هذه الصحف وهذه المدونات لا تخرج عن هذا الذي أشرت إليه، وهي في الحقيقة امتداد لما أشرنا إليه من خصائص التفسير في المرحلة الأولى، مرحلة النشأة والظهور.

الطريقة الثانية: أن يؤلف في بعض العلوم المتعلقة بالتفسير المرتبطة به ارتباطا وثيقا:

مثل: إعراب القرآن، معاني القرآن، ناسخ القرآن ومنسوخه، مشكل القرآن، نزول القرآن، مبهمات القرآن ، أحكام القرآن. فهذه الطريقة الثانية في التفسير هي في حقيقتها تفسير للقرآن لكن تفسير من ناحية معينة إما بيان غريبه، وإما بيان مشكله، وإما بيان ناسخه ومنسوخه، وإما بيان أسباب نزوله، أو تعيين مبهمه، وهكذا.

والتفسير في هذه المرحلة له أهمية إذ هذه المرحلة هي أساس الحركة العلمية المرتبطة بالتفسير، فكل الحركة العلمية المتعلقة بالتفسير هي في أساسها تنطلق من هذه المرحلة، ولهذا سنفصل القول في بعض تلك الفنون المتعلقة بالتفسير على نحو يساعدنا في تجلية صورة التأليف في تلك المرحلة. **لماذا ؟** لأن هذه المدونات التي ظهرت في هذه المرحلة عليها قام التفسير، وكل من جاء بعدهم من المفسرين وكل كتب التفسير التي ظهرت بعد ذلك إلى يومنا هذا كلها الحقيقة تعتمد على هذه المدونات بشكل كبير، ولهذا سنقف عند بعض هذه العلوم المتعلقة بالتفسير ونذكر بعض أهم المؤلفات فيها، ونبدأ بالكلام عن علم إعراب القرآن الكريم.

✓ علم إعراب القرآن الكريم

معنى كلمة الإعراب في اللغة: الإفصاح، أعرب عن الشيء بمعنى أفصح عنه ، وأعرب عن مراده يعنى أفصح عن مراده. وتعريف الإعراب عند النحاة هو: تغير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليه لفظا أو تقديرا .

يقول الإمام البيهقي نقلا عن الحليمي قال : ومعنى إعراب القرآن شيئان:

أحدهما: أن يحافظ على الحركات التي يتميز بها لسان العرب عن لسان العجم،

والآخر: أن يحافظ على أعيان الحركات ولا يبدل شيء منه لأن ذلك ربما أوقع فيه اللحن أو غيّر المعنى.

هذا معنى إعراب القرآن، لكن **ما الثمرة من علم إعراب القرآن؟** هو صيانة القرآن عن اللحن وتلاوته تلاوة صحيحة كما أُنزل بلسان عربي مبين، وهذا يجعل معانيه تظهر، وروعة بيانه تستبين، وإعجاز لفظه يتبين، قال الله تعالى: { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف : 2].

قبل أن نذكر أمثلة على المدونات في إعراب القرآن في تلك المرحلة، أشير إلى أن هناك نوع تداخل بين ما يتعلق بإعراب القرآن الكريم ومعاني القرآن الكريم، ونحن لا يخفى علينا العلاقة بين المعنى والإعراب لأن الإعراب يرتبط بالمعنى فبحسب المعنى يكون الإعراب، ولذلك كثير ممن ألف في إعراب القرآن الكريم يربطونه بمعاني القرآن الكريم، مثلا، **أبوزكريا الفراء**، المتوفى سنة 207 هـ، وكذلك، **الأخفش**، المتوفى سنة 215هـ، و**أبو إسحاق الزجاج**، المتوفى سنة 311هـ، كل هؤلاء نجد أن تأليفهم في إعراب القرآن له ارتباط بالمعاني، بل قد نص الفراء على ذلك في كتابه ***معاني القرآن***، يقول : "هذا تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه"، فهو يذكر الصلة الوثيقة بين إعراب القرآن وبين معانيه. كذلك، الزجاج، المتوفى سنة 311هـ، يقول في مقدمة كتابه: "هذا كتاب مختصر في إعراب

القرآن ومعانيه". كما نجد بعض أهل العربية ممن لم يكن من المفسرين لهم أيضا عناية بإعراب القرآن الكريم، مثل **قطرب**، **محمد ابن المستنير**، المتوفى سنة 206 هـ، ومثل **أبي عبيدة**، **معمر بن المثنى**، المتوفي سنة 209هـ، كلهم ألفوا في إعراب القرآن.

طريقة التأليف في علم إعراب القرآن الكريم

ويمكن أن يقال أن التأليف في إعراب القرآن الكريم كان على طريقتين: إما أن يكون هناك مؤلف مستقل تماما بهذا العنوان "إعراب القرآن الكريم" فيقتصر على المسائل الإعرابية المرتبطة بالقرآن الكريم، أو أن يكون البحث في إعراب القرآن الكريم ضمن كتب التفسير وكتب معاني القرآن الكريم، يعني بمعنى أن الكلام عن إعراب القرآن جاء تابعا وليس استقلالا.

ظهر بعد القرن الثالث وفي أوائل القرن الرابع الهجري ظهرت مؤلفات متنوعة بهذا العنوان "إعراب القرآن الكريم". أول كتاب مطبوع متداول في إعراب القرآن بين أيدينا اليوم هو كتاب ***إعراب القرآن*** تأليف: **أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحّاس**، المتوفى سنة 338هـ.

تنبيه أخير في هذا الصدد، وهو أن غالب المؤلفات في إعراب القرآن الكريم مغرقة في مسائل النحو، إذا قرأتها تشعر وكأنك لا تقرأ كتابا في التفسير، وكأنها لا صلة لها ببيان القرآن الكريم، وإنما هي بحث نحوي صرف مغرِق في البحث النحوي حتى إنك لتجد من التفصيلات فيها ما لا تجده في كتب النحو التي ألفت قصدا في علم النحو.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.



قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، فقد قمتُ بإعادة صياغة هذه المحاضرة بالكامل وإضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها، كما قمت بمراجعة، والتحقق من كافة أسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم.



تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة الخامسة عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، وبعد،

كُنا في المحاضرة الماضية قد بدأنا بالكلام عن المرحلة الثانية من مراحل تاريخ علم التفسير وهي **مرحلة التدوين**، وأشرنا إلى أن أهمية هذه المرحلة ترجع إلى أننا بحاجة إلى التفصيل فيها وذِكر أنواع التدوين فيها، وأشرنا إلى نوعين من أنواع التدوين في هذه المرحلة :

- النوع الأول: أن يُؤَلَّف في التفسير استِقلالاً.
- والنوع الثاني: أن يُؤَلَّف في بعض العلوم المتعلقة بالتفسير، كعلم إعراب القرآن، وكعلم معاني القرآن، وضربنا أمثلة على بعض المؤلفات في إعراب القرآن الكريم.

ونستكمل في هذه المحاضرة بإذن الله عز وجل االحديث عن بعض العلوم المتعلقة والمرتبطة بالتفسير، وتاريخ التدوين فيها.

✓ علم معاني القرآن الكريم

علم معاني القرآن هو من العلوم المتعلقة بالتفسير، ونقصد بمعاني القرآن الكريم: بيان ألفاظ العربية وأساليبها التي ورد بها القرآن الكريم ونزلت به آياته، بما يكشف عن إعجاز القرآن الكريم وبيانه. وهذا العلم - أعني به علم معاني القرآن الكريم - كسَابقِه الذي تكلمنا عنه في المحاضرة الماضية، علم إعراب القرآن، ظهر على أيدي علماء العربية؛ ولهذا فقد تأثّر بطريقتهم.

التأليف في علم معاني القرآن الكريم

التأليف في بادئ هذا العلم تأثّر بطريقة النّحويين وطريقة علماء العربية في الكتابة والتأليف، وفي مناهجهم؛ ولهذا تجد أن المؤلفين فيه يكتبون في معاني القرآن ويذكُرون بحثهم على طريقة أهل العربية، ثم في أثناء تأصيل المسألة يقولون مثلا: قال أهل التفسير كذا وكذا، وكأنهم بمَعزلٍ عن المفسرين أو عن أهل التفسير، مع أن الأساس والإنطلاق كان من أقوال أئمة التفسير المتقدمين. بحسب ما تذكر لنا المصادر التاريخية، نجد أن التأليف في هذا العلم كان كالتالي:

- أول من نُسب إليه الكتابة في معاني القرآن الكريم هو: **محمد أبو الحسن الرُّؤاسي**، المتوفى سنة 170 للهجرة،
- ثم، **يونس بن حبيب**، المتوفى سنة 182 للهجرة ،
- ثم، **الكسائي**، علي بن حمزة، المتوفى سنة 189 للهجرة،
- ثم، **الفَرّاء**، يحيى بن زياد، المتوفى سنة 207 للهجرة، وهو صاحب أول مُدوَّنة بَلَغَتنا وتداولناها في علم معاني القرآن الكريم هو كتاب ***معاني القرآن***.
- ثم، **الأخفش الأوسط**، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، المتوفى سنة 215 للهجرة.

✔ علم غريب القرآن

علم غريب القرآن هو من العلوم المرتبطة بالتفسير الخادمة له. وغريب القرآن الكريم يُراد به بيان معاني مفردات القرآن الكريم، وهو لا يقتصر في حقيقته على الألفاظ الغريبة؛ بل هي مؤلفات تعتني بدلالة ألفاظ القرآن الكريم. فهي بهذا **جزء من علم معاني القرآن الكريم** لأن علم المعاني يقوم على بيان المُفردَة أولاً، ثم بيان معنى الآية الكريمة في ضوء ذلك، هذا معنى معاني القرآن، يُبيّن اللّفظة ثم معنى الآية في ضوء ذلك.

التدوين في علم غريب القرآن الكريم:

التّدوين في علم غريب القرآن الكريم قديم؛ وقد ذكَر أهل التّراجم وكُتب تاريخ أن التدوين في هذا العلم كان كالتالي:

- مِن أول مَن دَوّن في ذلك هو **زيد بن علي**، بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)، المتوفى سنة 122 للهجرة، ونسب له كتاب باسم ***غريب القرآن***،
- ثم، **أَبَان بن تَغلِب**، المتوفى سنة 141 للهجرة، وله كتاب باسم ***غريب القرآن***،
- ثم، أبو عُبيدة، **مَعمَر ابن المُثَّى**، المتوفى سنة 209 للهجرة،
- ثم، **الأخفش الأوسط**، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، المتوفى سنة 215 للهجرة ،
- ثم، عبد اللَّه بن مُسْلِم **بْنِ قُتَيْبَةَ**، المتوفى سنة 276 للهجرة.

كل هؤلاء قد ألَّفوا في غريب القرآن؛ إلا أن كتاب **أَبِي عُبَيْدَةَ، مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى** المسمى ***مجاز القرآن***، وهو كتاب مطبوع متداول، هو **من أشهر كتب غريب القرآن**، بل هو من أكثرها أثراً وتأثيراً في من جاء بعده، سواء ممن ألّف في غريب القرآن ومعانيه، أو حتى من ألّف في التفسير. وقد لقي هذا الكتاب استنكاراً حتى في أوائل ظهوره، استنكاراً من أهل عصر زمانه، ويُرجع بعض الباحثين السبب في ذلك إلى أنه ربما سار على طريقةٍ تُخالف ما عليه أهل عصره.

طريقة التأليف في غريب القرآن

وبكل حال فالتأليف في غريب القرآن الكريم على طريقتين:

1. **الطريقة الأولى: أن يسير في ترتيب المصحف**؛ يسير في تأليفه على ترتيب المصحف فيبدأ بالسور في القرآن بحسب ترتيبها في المصحف، ثم يبدأ بالآيات بحسب ترتيبها في كل سورة، فيبدأ بالبقرة ثم يبدأ بأول آية وثاني آية بحسب ما فيها من ألفاظ غريبة يتناولها بالبحث والبيان والدراسة، من فاتحة الكتاب إلى سورة الناس.
2. **الطريقة الثانية: ألا يرتبط بترتيب المصحف بل يرتبط بالترتيب الهجائي للألفاظ** التي سيدرسها؛ الترتيب الهجائي للألفاظ الغريبة أو الألفاظ محل الدراسة. يجمع هذه الألفاظ ويُرتّبها على حسب حروف الهجاء؛ يبدأ بحرف الألف ثم الباء حتى آخر المصحف. مثل كلمة (أَبّا) هذه كلمة غريبة، فيبدأ بها مع أنها في آخر المصحف، ولكنه يبدأ بهذه الكلمة لأنها تبدأ بحرف الألف (أَبّا)، وهكذا حتى آخر المصحف.

هاتان طريقتان للتأليف في غريب القرآن الكريم.

✓ علم مُشكِل القرآن الكريم

من العلوم أيضاً المرتبطة بالقرآن وبتفسير القرآن الكريم "علم مُشكِل القرآن الكريم". ويراد بمُشكِل القرآن الكريم المُتَشابَه منه، أو ما دَقّ فهمُه واحتاج إلى نظرٍ دقيق حتى يُفهم المراد منه. هذا الإشكال الذي يقع في معاني القرآن الكريم إما أن يكون متعلقاً بذات الآية بأن يكون فهم المعنى المراد منها أمراً مشكلاً غامضاً، أو لا يتعلق بالآية بل بما يلزم على فهمنا للآية؛ فقد تكون الآية واضحة في معناها لكن هذا المعنى الذي هو واضح وظاهر من الآية يترتّب عليه لوازم وأمور مُشكلة. فإذاً الإشكال قد يكون في ذات الآية أو فيما يلزم على فهم هذه الآية.

التأليف في علم مُشكِل القرآن الكريم:

التأليف في مُشكل القرآن الكريم في أول ظهوره كان سببه الرد على أهل الزندقة الذين يطعنون في دين الله عز وجل، وأول طريقة لهم في الطعن في دين الله كانت بالطّعن في أساسه وهو القرآن الكريم، فيثيرون الإشكالات بقصد الطّعن في القرآن الكريم والتشكيك في مصدره والتشكيك في مضمونه، أو التشكيك في بعض المعاني التي تُفهم منه، أو في ترتيب نَظمِه، بحسب أنواع الطعون والتشكيك. ووسائلهم في ذلك متعددة ومتنوعة، ولهذا وبحسب المصادر التاريخية فإن:

- **قُطْرُب، محمد بن المُستنير**، المتوفى سنة 206 للهجرة، يُعتبر هو أول من ألّف في غريب القرآن الكريم في مُشكل القرآن الكريم، وسمّاه - وهذه التسمية تشير إلى ما نحن نقرره من سبب التأليف في هذا العلم - سمّاه ***الرد على الملحدين في متشابه القرآن***، فهو في قصده للتأليف أن يرد على الملحدين.

- ثم، عبد اللَّه بن مُسْلِم **بْنِ قُتَيْبَةَ**، المتوفى سنة 276 للهجرة ، ألّف كتابا وهو يعتبر من أشهر، إن لم يكن أشهر، كتب مُشكل القرآن الكريم أسماه ***تأويل مشكل القرآن الكريم***.

✓ علم الوجوه والنَّظائر

من العلوم أيضا المتعلقة بالتفسير أيضاً نجد "علم الوجوه والنَّظائر". فما معنى كلمة وجوه وكلمة نظائر؟ اختلف العلماء في تحديد معنى هذين المصطلحين، لكن أصح ما يقال أن المراد بـ **الوجوه** هو: **المعاني المختلفة الواردة على اللفظ الواحد**. بمعني أن يأتي لفظ واحد وله عدد من المعاني والإطلاقات التي تستعمل له. مثال ذلك: كلمة "عين"؛ العين تتكون من حرف العين والياء والنون (عين)، ممكن أن نطلق كلمة العين ونريد بها هذه العين المبصرة، الجارحة المعروفة. وقد نطلقها ونريد بها الماء الجاري، فنقول هذه عين جارية، الماء التي تنبع من الأرض وتجري، فهي لفظة واحدة (عين) تستعمل لعدد من المعاني هذا معنى الوجوه.

النظائر، المقصود بها **أن يأتي للمعنى الواحد نظائر أخرى بألفاظ أخرى مختلفة**، مثال ذلك ألفاظ: أَقْبِل، وهَلُمَّ، وإِلَيَّ، وقَصْدي،فهي نظائر لكلمة "أَقبِل".

تعليق على تعريف الوجوه والنظائر، لم يرد على لسان المحاضر وإنما تم إضافته للإفادة:

((أورد الدكتور مساعد الطيار المعنى الذي فهمه لمصطلح الوجوه والنظائر في كتابه (التفسير اللغوي) 91-94 فقال ما نصه:

"الوجوهُ : المعاني المختلفةُ لِلَّفظةِ القرآنيةِ في مواضعِها من القرآنِ.

والنَّظَائِرُ : المواضعُ القرآنيةُ المتعدِّدَةُ للوجهِ الواحدِ التي اتفقَ فيها معنى اللَّفظِ ، فيكون معنى اللَّفظ في هذه الآية نظيرَ (أي : شبيه ومثيل) معنى اللَّفظِ في الآيةِ الأخرى ، واللهُ أعلمُ "

فعلى هذا تكون (الوجوه) من باب المشترك اللفظي غالباً ، وأما النظائر فليست إلا مجرد أمثلة أخرى للوجه الواحد ، ولكن في مواضع أخرى ، ولا تعد حينئذٍ من المشترك ولا من المترادف))

منقول من موقع: ملتقى أهل التفسير على لسان الدكتور عبد الرحمن الشهري.[2]

التأليف في علم الوجوه والنظائر

- يُذكر أن أول من ألف في الوجوه والنظائر هو أَبُو الْحَسَنِ ، **مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ**، المتوفى سنة 150 للهجرة، فله كتاب أسماهُ مُحقِّقُه، عبد الله شحاتة، ولم يكن من تسمية مُؤلِّفه، سمّى هذا الكتاب ***الأشباه والنظائر*** لمقاتل ابن سليمان. فهو يعتبر أقدم كتاب وقفنا عليه ووصلنا ونتداولُه في الأشباه والنظائر.
- ثم، **هارون ابن موسى**، المتوفى سنة 170 للهجرة، وألف كتابه أسماه ***الوجوه والنظائر***،

[2] https://vb.tafsir.net/tafsir3033/#.WeMB6GiCzIU

- ثم، **يحيى بن سَلّام**، المتوفى سنة 200 للهجرة، وألف كتابه المشهور ***التصاريف*** وهو كتاب في الوجوه والنظائر.

✓ علم أحكام القرآن الكريم

من المؤلفات أيضا المرتبطة بالتفسير والتي تعتني بجانب منه "علم أحكام القرآن الكريم" فإن التدوين في هذا العلم أيضا ظهر قديما. فما الذي نقصده بأحكام القرآن الكريم؟ نقصد به الآيات التي يَستدل بها الفقهاء على مسائل الأحكام التفصيلية ويَكثر ذِكرهم لها. وهذا التعريف هو تَوصيف في الحقيقة لمعنى آيات الأحكام؛ لأن آية الأحكام ليست منضبطة في عددها وذلك لأسباب:

- ما من آية في القرآن الكريم إلا وهي تتضمن حُكما وأحكام، فكل القرآن الكريم إنما هو عبارة عن حِكَم وأحكام.
- الأمر الآخر : أن ضابط ما يدخل في ضمن آيات الأحكام ويخرج منها مَردُّه للاجتهاد. فقد يجتهد إمامٌ من الأئمة فيضع لنا خمسمائة آية في الأحكام ويأتي آخر فيبلغ بها ثمانمائة آية، ويأتي آخر فيَقصُرها علىمائتين آية.

وهذا التنوع والاختلاف سببه أن الأمر كله مسألة اجتهادية، فأنا أجتهد فيما أُدخله ضمن آيات الأحكام أو ما أُخرجه منها. والغريب أن المذهب الفقهي الواحد لا يتفق على عدد واحد من آيات الأحكام، فقد يتفق على ذلك صورياً، لكن في التطبيق لا يتفقون على ذلك. فنجد مثلا المالكية وهم أكثر من ألّف في أحكام القرآن - أكثر المذاهب تأليفاً في أحكام القرآن الكريم المالكية فلهم أكثر من مائة كتاب في أحكام القرآن - من أشهر مؤلفاتهم " أحكام القرآن" لابن العربي المالكي. ابن العربي المالكي هو يقول في كتابه هذا أنه قد اعتمد على كتاب " أحكام القرآن " للقاضي اسماعيل، المتوفى سنة 282 للهجرة، ومع أنه يَعتَمد هذا الكتاب إلا أن العدد في آيات الأحكام بينهما مختلف، فبينهم ما يقرب من مائتي آية فارق - زيادة عند ابن العربي عن ما عند القاضي إسماعيل، مع أنهم في مذهب واحد، ومع أن ابن العربي أيضا يقول أنني قد اعتمدت كتاب القاضي اسماعيل، لكن اختلفوا في العدد.

مما يُشار إليه أن **التأليف في أحكام القرآن الكريم يغلب عليه الجانب المذهبي**، فأحد أسباب التأليف في أحكام القرآن هو توضيح المذهب وبيان وجه استدلاله بالآية الكريمة. لماذا المذهب يستدل بهذه الآية على قوله؛ أو الرد على المخالفين الذين يستدلون بآيات القرآن الكريم على مذهبهم. فهو إما أن يستدل بالآية على تقوية المذهب ويُبين وجه دلالة الآية على قولهم في مذهبهم، أو يجيب على استدلال غيره بالآية على ما ذهبوا إليه مخالفاً لمذهب المؤلف.

التأليف في علم أحكام القرآن:

اتخذ التأليف في أحكام القرآن طريقتان:

الطريقة الأولى: اتباع ترتيب المصحف من حيث السور والآيات؛ فيبدأ من سورة الفاتحة إلى سورة الناس ويمر على الآيات بحسب ما فيها من الأحكام، ولا يتكلم إلا فقط عن آيات الأحكام؛ فيأخذ من سورة البقرة عدداً من

الآيات ومن سورة المائدة عدداً من الآيات، ومن سورة الإسراء مثلا عدداً من الآيات، وهكذا حتى يُنهي المصحف بحسب السورة وبحسب ما فيها، هذه طريقة، وكثير من التأليف على هذا النحو.

الطريقة الثانية: تعتمد على ترتيب الآيات وفق الأبواب الفقهية لا على حسب ترتيبها في المصحف: بمعنى أن يجمع كل الآيات المتعلقة بالطهارة في كتاب الطهارة، وكل الآيات المتعلقة بالصلاة في كتاب الصلاة، وكل الآيات المتعلقة بالزكاة في كتاب الزكاة، وهكذا حتى يُنهي جميع الآيات التي ستكون محل دراسته. هذه الطريقة الثانية.

- أول من نُقل عنه التأليف بهذه الطريقة هو **الإمام أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي** (الحنفي)، المتوفى سنة 321 من الهجرة، في كتابه ***أحكام القرآن***، فإنه بَوَّبه على أبواب الفقه.
- أما أول من ألّف في أحكام القرآن الكريم بشكل عام فيُذكر أنه أَبُو الْحَسَنِ ، **مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ**، المتوفى سنة 150 للهجرة، يُذكر أنه ألف كتاباً في أحكام القرآن سماه ***تفسير خمسمائة آية من القرآن الكريم في الأمر والنهي والحلال والحرام*** وقد طُبع مُحَقَّقاً. وهذا حقيقةً يدلنا على أن مقاتل ابن سليمان من المؤلفين المتقدمين في التاريخ الإسلامي فهو متوفى سنة 150 للهجرة ومع ذلك ذكرنا له عدد من المؤلفات في التفسير؛ والتي تعتبر أصول وتعتبر من أوائل إن لم تكن أول ما أُلّف في أبوابها.
- أيضا ذَكر أهل التّراجم أن لـ**محمد بن السائب الكَلبي** - المتوفى سنة 146 للهجرة - له كتاب في أحكام القرآن لكن لم يصل.
- من المُدوَّنات المتقدمة في أحكام القرآن كتاب للإمام **أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ**، المتوفى سنة 204 للهجرة، فله كتابان أحدهما من جَمْع الإمام البيهقي، المتوفى سنة 458 للهجرة، والآخر من تأليف الشافعي نفسه، ولذلك أشار إليه في كتابه الرسالة في المسألة رقم (416)، أشار إلى كتابه في أحكام القرآن.
- أيضا، أبو الحسن علي بن حُجر السعدي، المتوفى سنة 244 للهجرة .
- للقاضي الإمام أبي إسحق إسماعيل بن إسحق الأزدي البصري، المتوفى سنة 282 للهجرة، كتاب كبير في أحكام القرآن ولكنه مفقود، ويقول عنه الخطيب البغدادي أنه لم يُؤلّف مثله في ضخامته ومَتانة مضمونه، بقي منه جزء أو عُثر على جزء يسيرٍ جدا منه وطُبع مُحَقَّقا؛ جزء يسير وله عدد من المختصرات من أشهرها " مختصر القاضي بكر بن علاء القشيري " وقد تمّ تحقيقه في رسالة علمية، وأرجو أن يظهر إن شاء الله قريبا مطبوعا.

ثم في المرحلة التالية لمرحلة التدوين ظهرت الكثير من المؤلفات في أحكام القرآن التي لا يسع المجال للحديث عنها.

نتوقف في هذه المحاضرة ونكمل إن شاء الله في المحاضرة القادمة بقية الكلام عن هذه المُدوَّنات.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **أخت في الله**

قام بالمراجعة الأولى: **رغد**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليس فقط في ضبط الصياغة وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، وإنما هذا يشمل أيضا ما قمتُ به من مراجعة، والتحقق من كافة أسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم، وقد ألجأ إلى إضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها.

